النائب عن الفاعل

ويعني: مَا حُذِفَ فاعلُه -لغرض ما- وأُنِيْبَ عنه في جميع أحكامه واحدٌ من أربعة: المفعول به، المجرور به، المصدر المختص المتصرف، الظرف المتصرف المختص. والقبائل العربية قد اختلفت في بعض أنواعٍ من هذا البناء، وعلى ضوء ما عثرنا عليه عند النحاة وجدنا العرب قد اختلفوا في مواضع منه:

١- الفعل المضعف العين واللام نحو: رَدَّ، واشْتَدَّ، وما شابهما- وسنبسط القول عن ذلك في باب الإدغام- ويهمنا هنا هذا التغيير الذي يصيب فاء هذا البناء عند قوم من العرب، فقد أوجب الجمهور ضم فاء المضاعف ثلاثيا كان أو غيره نحو: حب، وامتد.

ورجح بعضهم قول الكوفيين أن الكسر جائز فيها، وأجاز بعضهم الإشمام أيضًا[١].

وقد قرأوا على ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ** ﴾ [الأنعام:٢٨] وهي قراءة إبراهيم ويحيى بن وثاب والأعمش حيث كسروا الراء من «ردوا» على نقل حركة الدال من ردد إلى الراء[٢].

وقرأ علقمة ويحيي بن وثاب والأعمش أيضًا ﴿**هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا**﴾ [يوسف: ٦٥] بكسر الراء، نقل حركة الدال المدغمة إلى الراء بعد توهم خلوها من الفتحة.

قالوا: وهي لغة لبني ضبة وبعض تميم[٣].

٢- الفعل الماضي من الثلاثي -يائيًا كان أو واويًا- وما جاء على وزن افتعل وانفعل إذا كانت العين فيها حرف علة، فإن للعرب فيها ثلاث لغات:

١- كسر ما قبل العين بإخلاص فيقال: قيل، بيع، سيق، غيض، وسيء وسيئت، وحيل، وبها جاء التنزيل.

---

(١) الهمع ٢: ١٦٥، التسهيل ٧٨.

(٢) البحر ٤: ١٠٤.

(٣) شواذ ابن خالويه ٦٣، البحر ٣٢٣.

قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ [هود: ٤٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ﴾ [الملك: ٢٧]، ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ﴾ [سبأ: ٥٤].

فقد قرأ الجمهور من القراء خلا الكسائي وهشام ورويس وابن ذكوان في بعضها، والمدنيان في غير سيء وسيئت فقط، بإخلاص الكسر في الجميع، وهي لغة قريش ومن جاورهم(١).

٢- إشمام الكسر الضم فتقلب ياء، وحقيقته: ضم الشفتين مع النطق بحركة الفاء بين حركتي الضم والكسر ممتزجة منهما(٢).

وفسره آخرون بأن قالوا: وفي كيفية الإشمام ثلاثة مذاهب: أحدها- ضم الشفتين مع النطق بالفاء فتكون حركتها بين حركتي الضم والكسر، هذا هو المعروف المشهور المقروء به.

والثاني- ضم الشفتين مع إخلاص كسرة الفاء.

والثالث- ضم الشفتين قبل النطق بها لأن أول الكلمة مقابل لآخرها فكما أن الإشمام في الأواخر بعد الفراغ من إسكان الحرف فكذلك يكون الإشمام في أولها قبيل النطق بكسر الحروف(٣).

وقد قرئ بذلك في بعض ألفاظ القرآن الكريم، فقرأ الكسائي وهشام ورويس بإشمام الضم كسر الأوائل من قوله تعالى ﴿قِيلَ﴾ [هود: ٤٤] -غِيضَ- ﴿جِيءَ﴾ [الزمر: ٦٩]- ﴿وَحِيلَ﴾ [سبأ: ٥٤] - ﴿سِيقَ﴾ [الزمر: ٧١] - ﴿سِيءَ﴾ [هود: ٧٧] . . ووافقهم ابن ذكوان في: حِيلَ وَسِيْقَ وسَيْءَ وسَيْئَتْ، ووافقهم المدنيان في سِيْءَ وَسِيْئَتْ فقط(٤).

قال أبو حيان: في قوله تعالى «سِيْئَتْ وجُوهُ: وأشم كسرة السين الضم أبو جعفر والحسن وأبو رجاء وشيبة وابن وثاب وطلحة وابن عامر ونافع والكسائي.

---

(١) غيث النفع: ٣٧١، البدور الزاهرة ٣٢٢ وشرح الشاطبية ١٤٨، النشر ٢: ٢٠٨، البحر ٨: ٣٠٣.
(٢) الهمع ٢: ١٦٥. (٣) شرح التصريح: ١: ٢٩٤.
(٤) النشر ٢: ٢٠٨ وما بعدها، غيث النفع ٣٧١، البدور الزاهرة ٣٢٢.

قيل: وهي لغة كثير من قيس وأكثر بني أسد وعقيل[1].

٣- إخلاص الضم فتقلب الألف واوا فيقولون:

قول. وبوع. وحوك. ونوط. . . إلخ.

قال رؤبة:

لَيْتَ وَهَلْ يَنْفَعُ شَيْئًا لَيْتُ لَيْتَ شَبَابًا بُوعَ فَاشْتَرَيْتُ(*)

فبوع مبني للمفعول. . وقال الآخر:

حُوكَتْ عَلى نيرين إذْ تحاك تَخْتَبِطُ الشَّوْكَ وَلاَ تُشَاكُ(**)

والأصل: حاك من الحياكة، وهو مبني للمفعول.

وقال: نُوطَ إِلَى صُلْبٍ شَدِيْدِ الحُبُلِ(***).

والأصل: ناط. فقلبت الألف واوا بعد إخلاص ضمة ما قبلها، وقد عُزِيَتْ هذه الوجوه إلى بني فقعس ودبير، ووجدت في كلام هذيل، كما حكيت عن بني ضبة وبعض بني تميم[1].

وتجري اللغات الثلاث -على الأصح- في وزن انفعل وافتعل من الأجوف المعل نحو: انقيد واختير، كذا قال ابن مالك وابن عصفور والأبذى(****).

---

(١) شرح التصريح ١: ٢٩٥، البحر ٥: ٣٢٣، وحاشية ابن حمدون: ٤٠.

(*) البيت نسب إلى رؤبة بن العجاج، ورأيته في ملحقات ديوانه ١٧١.

والشباب: من شب الصبي يشب: وهو سن قبل الكهولة.

والشاهد فيه: بوع: فإنه فعل ثلاثي معتل العين فلما بناه للمجهول أخلص ضم فائه، وأخلاص ضم الفاء لغة لبعض العرب. . وراوية الديوان: بيع.

(**) هذا البيت لم ينسب إلى قائل.

وحوكت: من الحياكة وهي النسيج. ونيرين: تثنية نير بكسر النون وسكون الياء، علم الثوب ولحمته أيضًا فإذا نسج على نيرين كان أصفق، ولصفاقتها تختبط الشوك ولا يؤثر فيها شيئًا.

والشاهد في حوك: إذ بني فعلاً للمجهول من فعل «حاك» المعتل العين فأخلص الضم فنتجت عنه واو وهذه لغة أيضًا.

(***) البيت من شواهد الهمع ٢: ١٦٥. ولم ينسب إلى أحد.

ومعنى نوط: أى علق. والصلب: الظهر،

والشاهد في نوط: إذ لما ضم أوله قلبت الياء واوا، والقياس: نيط.

(****) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيد يس بن محمود الأبذي الغرناطي ولد بجيان سنة ٥٦٣هـ. وتوفي بغرناطة في شعبان سنة ٦٥٩هـ.

وقال ابن أبي الربيع تضم مطلقًا، وأنكر خطاب(*) أن يجري فيه غير الأولى، وأنكر أبو الحكم الحسن بن عذرة(**) فيه اللغة الثانية(١).

وبتأملنا فيمن عزيت إليه هذه الظاهرة اللهجية نرى أنها قد انتشرت في مناطق واسعة من شبه الجزيرة العربية، وتكلمها عدد لا بأس به من قبائل العرب وهم: بنو دبير وفقعس، وهما من فصحاء أسد، وهذيل وضبة وبعض بني تميم، ما يؤكد شيوعَ الظاهرة وتمكُّنَها من ألسنة كثير من أبناء القبائل العربية.

وبناء على هذا فليس بصحيح على إطلاقه قول بعضهم: وهي لغة قليلة، والصواب أنها لهجة شائعة بين عدد كبير من العرب.

ويبدو -اعتمادا على من نسبت إليهم تلك الظاهرة اللهجية -أنها كانت منتشرة في أصقاع مختلفة من مناحي البادية.

ولعل لطبيعة البيئة أثرًا كبيرًا في ذلك، فالبدوي غالبًا ما يميل إلى الأصوات الشديدة الواضحة، لذلك فهو مضطر إلى الجنوح بالكسرة ناحية الضم، إذ الضم أوضح من الكسر وأكثر شدة.

وإذا تأكد لنا هذا فليس بمستغرب أن تُنْسَبَ إلى هذيل أو سواهما ممن بَعُدَتْ ديارُها عن ديار بني دبير وفقعس وضبة وبعض تميم، إذ قد وَحَّدَتْ بينهم بيئةٌ جغرافية واحدة فَسَرَتْ بين جميع أبنائها سماتٌ صوتيةٌ متشابهة إن لم نقل واحدة.

٤- الثابت لدى النحويين أن جمهور العرب إذا بنوا الفعل الماضي للمجهول فإنهم يكسرون ما قبل آخره فيقال: نُظِرَ وأُمِرَ. إلا أن من العرب من قد أسكنه كراهية توالي الثقيلين في الثلاثي الخفيف، وأنشدوا على ذلك قول أبي النجم العجلي:

---

(١) الهمع ٢: ١٦٥، شرح التصريح ١: ٢٩٥.

(*) هو اسم لاثنين هما خطاب بن مسلمة بن محمد. ولد سنة ٢٩٤هـ وتوفى سنة ٣٧٢هـ، والثاني: خطاب ابن يوسف بن هلال القرطبي. اختصر الزاهد لابن الأنبارى، وكان يقرض الشعر، وهو صاحب كتاب الترشيح. مات سنة ٤٠٠هـ.

(**) هو الحسن بن عبد الرحيم بن عذرة الأنصاري الأوسي، ولد سنة ٦٢٢هـ.
ومن تصانيفه: المفيد في أوزان الرجز والقصيد، والإغراب في أسرار الحركات في الإعراب.

لوُ عُـصْـرَ بِهَـا الْبَـانُ وَالْمِسْكُ انْعَـصَـرْ(*)

والأصل: عُصِرَ، إلا أنه أسكن الثاني تخفيفًا. قالوا: وهي لغة فاشية في تغلب ابن وائل، أو بكر بن وائل، وأبـو النجم من عـجل وهم من بكر بن وائل. وقـد استعمل لغتهم، وكذا قال القطامي:

أَلَمْ يُخْـزِ التَّـفَـرُّقُ جُنْدَ كِـسْـرَى وَنُفْـخُـوا فِي مَـدَائِنِهِمْ فَطَارُوا(**)

والأصل: نُفِخُوا فأسكن عين الفعل «نُفِخُوا» طلبا للاستخفاف لثقل الكسر بعد الضم[1]، وعلة ذلك أن الكسر أدخلُ إلى الفم من الضم فلمـا ابتدأ اللسانُ النطقَ بالمضموم تَوَهَّمَ أن ما بعده مـضموم إذ هو الأنسب له إلا أنه لما أتى بالمكسور انتقل معه اللسان من وضع كان فيه إلى وضع سيـصير إليه مع بُعْدِ ما بين الوضعين؛ لذا كان الكسر بعد الضم ثقيلاً فجنحوا إلى التـخفيف بحذف الحركة في الحرف الثاني للمضموم، ولعل هذا هـو ما أراده سيبويه عندما قال: وكـرهوا في «عصر» الكسرة بعـد الضمـة كمـا يكرهون الواو مع اليـاء في مواضـع ومع هذا أنه بناء ليس من

---

(١) شرح الشافية ١: ٤٤.

(*) نسب هذا البيت إلى أبي النجم العجلي، وهو من شواهد سيبويه:
٢: ٢٥٨. وقبيل البيت قوله:

كـــأنما في نـشـــرها إذا نشـــر نغـــمـــة روضـــات تردين الـزهر
هيـــجـهـــا نفح من الـطلل سـحـــر وهزت الـريح الـندى حـــــتى قـطر
بيـــضـــاء لا يـشـبع مـنهـــا نـظر خـــوذ يغـطي الفـــرع منهـــا المؤتزر

والنشر: الرائحـة الطيبة، والنغمـة: التي تملأ الأنوف، والفرع: الشعـر. والمؤتزر: المكان الذي يقع عليه الإزار، ولو عصر: معناه اسـتخراج الشيء من الشيء. والبان: شجر مـعروف الواحدة بانة: له دهن إذا عصر..

والشاهد: عصر: حيث سكن الشاعر الثاني المكسور بقصد التخفيف -على ما أوضحنا في النص- وذلك لغة فاشية لبعض العرب- كبني بكر بن وائل وأناس من بني تميم.

(**) قد نسب هذا البيت إلى القطامي

ويخز من خـزى: إذا ذل وهان. والتفرق: الانفصـال والتشتت. والجند: الأنصـار والأعوان، والمدائن: جمع مدينة وهي المصر الجامع.

وطاروا: أي نفروا مسرعين.

والشاهد في قوله: نفخوا: حيث سكن الشاعر الحرف الثاني من الفعل نفخ المبني للمجهول طلبًا للخفة، ذلك لغة شائعة عند بعض العرب.

كـــلامـــهم إلا فـــي هذا الموضع من الفـــعل فكرهـــوا أن يحـــولـــوا ألسنتـــهم إلى الاستثقال[1]، وقد عزا سيبويه هذا الاستـعمال إلى بكر بن وائل، وأناس كثير من بني تميم[2].

وقد اختلف النحويون -البصريون والكوفيون- فيما يجوز فيه هذا التخفيف.

فذهب البصريون إلى تجويزه في المكسور العين والمضـموم بينما أجازه الكوفيون في الجميع حين السعة.

وقد أنشدوا على ذلك قول الأخطل:

وَمَا كُلُّ مَـغْبُونٍ وَلَوْ سَلْفَ صَفْـقُهُ بِرَاجع مَـــا قَـــدْ فَـــاتَهُ بِرَدَّادِ(*)

والبصريون: على أن ذلك التسكين ضرورة، وعبـر عنه ابن قتيبة بأنه شاذ،[3].

وقد جمع بينهما الرضي في شرح الشافية[4].

****

(١) شرح الشافية ١: ٤٤.
(٢) الكتاب ٢: ٢٥٨.
(٣) أدب الكاتب ٤٣٢.
(٤) شرح الشافية ١: ٤٤.

(*) البيت قد نسبه ابن قتيبـة إلى الأخطل في أدب الكاتب ٤٣٢، وأنشد في اللسان ١١: ٥٨ من غير نسبة، ولم أجده في ديوانه. والمغبـون: المنقوص في كل شيء وسلف: تقدم. وصفقه: مـصدر إذا ضرب بيده على يد صـاحبه عند تمام المبـايعة. ورداد: راد إذا فـسخ البيع. والشـاهد: لو سلف: حيث سكن فـيه الشاعر اللام من سلف المفتوحة قصدًا إلى التخفيف.

obeikandl.com